المنهج النفسي في النقد الأدبي

ظهر هذا المنهج في مطلع القرن العشرين مع ظهور مدرسة مهمة في علم النفس الا وهي مدرسة التحليل النفسي على يد فرويد.

وبداية لا بُدَّ من الوقوف عند تعريف المنهج النفسي، فما تعريف المنهج النفسي؟ إذ يمكن القول: إن المقصود بالمنهج النفسي (هو المنهج الذي يعتمد على معطيات علم النفس الحديث في معالجته للنص الأدبي).

أما نشأته، فيمكن تتبعها عبر الإشارة إلى النشأة عند الغرب والنشأة عند العرب.

إذ إن البدايات الأولى للمنهج النفسي في النقد الأدبي الغربي التي تعود إلى ظهور المدرسة الرومانسية في الأدب، كما أن أول من عُني بالتفسير النفسي للأدب لدى الغرب هم (سانت بيف وكوليريدج في كتابه (سيرة أدبية) فضلاً عن تين). ولا بد من الوقوف عند العالم (فرويد) وطروحاته في مجال علم النفس ولا سيَّما كتابه (تفسير الأحلام)، وتعدُّ نظرية فرويد بمثابة ثورة لما أظهرت من دراسات للشخصية ودواخلها وعقدها. وهذا ما دفع النقَّاد للإفادة من هذه المدرسة في تحليل النصوص الأدبية.

أما النشأة عند العرب فيمكن القول: إن العرب تأثروا بالنقد النفسي لدى الغرب وانتقل إليهم فظهرت نتاجات النقاد العرب وأبرزهم: عباس محمود العقاد في كتابه

(دراسة للشاعرين ابن الرومي وأبي نؤاس).

وطه حسين في كتابه (المتنبي وأبو العلاء المعري).

وعز الدين إسماعيل في كتابه (التفسير النفسي للأدب).

وفيما يخص علاقة المنهج النفسي بالأدب؟ فيمكن أن نقف عند مقولة الناقد (عز الدين إسماعيل) في كتابه: (التفسير النفسي للأدب)، إذ يقول: (العلاقة بين الأدب وعلم النفس لا تحتاج إلى إثبات، لأنه ليس هناك من ينكرها.. إن النفس تصنع الأدب، وكذلك يصنع الأدب النفس. النفس تجمع أطراف الحياة لكي تصنع منها الأدب....) فنلاحظ عبر هذه المقولة أن النتاج الأدبي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بعلم النفس من حيث انجلاء العقد النفسية وتأثيرها على النصِّ الأدبي وفاعليته في إحداث المتعة وشد المتلقي فضلاً عن ايضاح بعض ملامح الشخصيات المعتلة اجتماعياً وسيكولوجياً، وظهور خبايا النص المتعلقة بالمبدع (الكاتب) التي تنعكس على كتاباته.

وكي نفهم كيف يمكن أن يتضح الجانب النفسي وكيف ممكن أن يعكسه الكاتب في إبداعه الأدبي ممكن أن نقف عند مثال بسيط إلا وهو (عقدة أوديب) التي تعني المفهوم الذي تحدث عنه فرويد وهي عقدة تطلق على الصبي الذي يتعلق بأمه. ففي قصيدة (المومس العمياء) للشاعر بدر شاكر السيَّاب، يقول: موتى تخاف من النشور

قالوا: سنهرب، ثم لاذوا بالقبور من القبور

من هولاء؟

أحفاد (أوديب) الضرير ووارثوه المبصرون

فالشاعر هنا يحاول أن يشبه حقيقة المومس العمياء بعقدة أوديب التي ترتبط باتباع الشهوات وما تؤول إليه من وقوع في الظلم والخسران. فاستعمال الشاعر لهذه المفردة وكونها تمثل عقدة نفسية ذات نوازع سيئة اثرت النصَّ بالمعنى الذي تولد من رسم صورة المومس التي لم تحظَ ولم تصل سوى إلى السوداوية والنهاية المظلمة.

وبذا يمكن القول: إنَّ المنهج النفسي يوضح أن العلاقة ما بين علم النفس والنقد الأدبي علاقة وثيقة مترابطة، فلعلم النفس الفضل في دفع الحركة النقدية نحو الحداثة فضلا عن التوطيد ما بين العلوم وانجلاء التمظهرات النفسية في النصوص الأدبية.